الظروف السياسية والاجتماعية في شبه القارة الهندية (منذ ثورة التحرير 1857م وحتى التقسيم 1947م)

محمد علي عبد الحليم محمد

الملخـــــــص

عاش أهل شبه القارة الهندية فترة طويلة من المعاناة في ظل الاحتلال الإنجليزي للبلاد، وما لبث أهلها أن نهضوا لكي يقاوموا ذلك المستعمر الذي نهب ثروات البلاد، وعامل أهلها معاملة الخدم والعبيد. فقامت الثورة الوطنية في عام 1857م، وكادت تنجح في نيل أهدافها، لولا سوء التنظيم الذي شابها، وتفشي الانقسام والفرقة بين أبناءها. وبعد إخماد هذه الثورة عمل الإنجليز على التفرقة بين أبناء البلاد، وجعلهم فرق وجماعات متناحرة، خاصة المسلمين والهندوس، وقد نجحوا في ذلك بشكل كبير، وبدأت سموم العصبية والطائفية تنفس نيرانها في كلا الجانبين، مما أدى في نهاية الأمر إلى تقسيم البلاد في عام 1947م على أساس ديني إلى دولتين، دولة في الشمال تسمى باكستان تكون وطناً قومياً للمسلمين، ودولة في الوسط والجنوب تكون وطناً قومياً للهندوس والطوائف الأخرى .

Political and social conditions in the Indian sub-continent (since 1857 liberation revolution and even division 1947)

Muhammad Ali Abdel Halim Mohamed

Abstract

The people of the Indian sub-continent suffered for a long time under the British occupation of country, Thus, immediately, its people started to resist the colonizers who looted the country's wealth, and treated its people as servants and slaves. Therefor, the national revolution broke out in 1857, and it was about to achieve its goals, but because of the bad planning, which was mingled, the revolution was put down. After the suppression of this revolution, the Britich worked on dividing the Indians into sects and groups that fight each other, especially between Muslims and Hindus, and they succeeded to a great extent, as a result, the poison of fanaticism and sectarianism fire spread among both sides. This eventually led to the division of the country in 1947 according to religion basis into two states : State in the north called Pakistan as a national homeland for the Muslims, and a state in the center and south, and ut would be a homeland for Hindus and other communities .

المقدمـــــــــــة

بدأت بعوث البريطانيين التجارية تفد إلى الهند منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي، ولم يثبط من عزيمة رجالها ما بذله البرتغاليون من جهود متواصلة عند سلاطين الدولة المغولية؛ ليحولوا دون منافستهم لهم بهذه البلاد. وما لبث هؤلاء البريطانيون، بما اشتهر عنهم من الدهاء وسعة الحيلة، أن صرحت لهم الدولة بإقامة وكالات تجارية عند سورات في الغرب وهوجلي في الشرق، ثم ما زالوا يتقربون من بعد ذلك إلى سلاطين الهند، حتى عاونوهم في حربهم للبرتغاليين عند الشواطئ الشرقية، ونال البريطانيون – إثر كل عون قدموه للسلاطين – مزيدا من الامتيازات حتى بلغوا من الثراء والقوة واتساع النفوذ ما مكنهم من شراء بمبئي نفسها من البرتغاليين، وتوسيع رقعة أراضيهم عند كلكتا، ومد نفوذهم إلى مدارس وما يليها جنوباً.[1]

وفي سنة 1765م حصلت الشركة الإنجليزية من سلطان المغول على امتياز خاص، وهو إدارة البنغال في مقابل مبلغ خاص يدفعونه كل سنة للسلطان. وفي ذلك الوقت ضعفت الدولة المغولية، وانتشرت الفوضى في أرجائها، واضمحلت التجارة والصناعة، في حين اتسعت تجارة الشركة الإنجليزية واستقر الأمن في أملاكها. وبعد فترة من الزمن أصبح لها جيش منظم معظمه من الهنود، أما سلاطين الدولة المغولية فلم يبق لهم حول ولا قوة، بل كانوا يتلقون مرتباتهم من الشركة الإنجليزية التي كانت تدفع لهم جزية سنوية. وفي مقابل ذلك ترك السلاطين للشركة التصرف في جميع شئون الدولة. [2]

واستطاعت شركة الهند الإنجليزية، أن تحظى بالمقام الأول في الهند، وتقضي على النفوذ البرتغالي والهولندي والفرنسي فيها، ويخلو لها الجو لتفعل ما تريد، فأخذت تضرب الأمراء بعضهم ببعض، وتعين بعضهم بالمال والرجال، ضد العض الآخر؛ لتكسب مكانة ونفوذاً عنده، ثم تنقلب إلى الآخر فتمثل معه نفس الدور الذي مثلته مع الأول، ومن خلال ذلك تضع يدها على دخل الولايات، وتبسط سلطانها عليها .. حتى وصل نفوذها إلى القلب، إلى الإمبراطور المسلم القابع على عرشه في دهلي، فشلّت كل نفوذ له، حتى تحكمت في وزراءه، واستمالت إليها من حوله من حاشيته الخاصة، حتى زوجته .. فأصبح مجرد صورة لا روح فيها ولا نفوذ لها. [3]

– ثورة التحرير الهندية 1875م :

قامت الثورة الوطنية الكبرى في عام 1857م، وكان سبب قيامها هو تعسف الشركة الشرقية البريطانية واستنزافها لثروات البلاد وإقفار أراضيها خاصة في الشمال، وبدأت أحداث هذه الثورة العارمة التي كادت تقضي على كل نفوذ للإنجليز في الهند كلها في وقت واحد، بالبنغال ودهلي وكانبور والبنجاب وأجره وأودهـ. لكن شرارتها الأولى اندلعت من البنغال، حيث وضع الثائرون خطتهم على أن تقوم الثورة بالبنغال فيسارع البريطانيون إلى استدعاء كل قواتهم المنتشرة

في الهند إليهم، فيخلو لهم الجو بذلك ولا يتمكن المستعمرون منهم بعد ذلك أبداً. [4]

- **أسباب قيام ثورة التحرير :**

- حصول الإنجليز على كل الامتيازات الممكنة من أجل توسيع تجارتهم، حيث كانوا يقومون بتصدير المواد الأولية من البلاد إلى انجلترا بأسعار زهيدة، ثم يقومون ببيع المنتجات الإنجليزية في شبه القارة بأسعار باهظة، واستولوا كذلك على جميع الموانىء في شبه القارة، وانهارت جميع الصناعات الصغيرة والكبيرة وتخلفت بسببهم، إذ أنها لا تستطيع منافسة المنتجات الإنجليزية لا في القيمة ولا الجودة، فاضطر أهالي شبه القارة إلى الاكتفاء بالزراعة فقط، وكان يملك الاراضي الزراعية إقطاعيون يمتصون دماء الشعب؛ لذا أصبحت البلاد فريسة للفقر والإفلاس بعدما كانت أرض الثروات والخيرات.[5]
- خوف أهل شبه القارة من سياسات الإنجليز؛ لذا كانوا يعتبرون كل خطوة من جانب الإنجليز موجهة ضدهم، فاعتبروا إصلاحات الإنجليز الاجتماعية من هذا القبيل، وكانوا يعتقدون أن الإنجليز يريدون إقرار نظامهم التعليمي لحملهم على أن يكونوا مسيحيين، وبهذا يحكمون سيطرتهم على شبه القارة من كل النواحي.[6]
- معاملة الجنود الهنود في الجيش معاملة حقيرة وكأنهم عبيداً مملوكين، حيث كانوا يحصلون على رواتب زهيدة، وكانوا يجبرون على الذهاب للقتال في البلاد الخارجية، ولم يكن يمكنهم الرفض، وإلا اعتبروا منشقين وعوقبوا بالحبس.[7]

ففي يناير 1857م بدأ القلق في الهند بسبب تسرب الخوف إلى قلوب الجنود الهنود، من تمادى الإنجليز في التدخل في أحوال بلادهم، إلا أن الغضب بلغ مداه في البنغال عندما عالج الانجليز خراطيش أسلحتهم بدهون الأبقار والخنازير، وأجبروا الجنود الهنود على فك هذه الخراطيش بأسنانهم مما يتنافى مع عقائدهم، فقامت الفرقة التاسعة عشرة بمظاهرة في بهرام بور في فبراير 1857م، ثم انتشر الأمر فوصل إلى بيرج بور، وما لبثت أخبار ما حدث أن شاعت وانتشرت مع كثير من المبالغة، فقامت الثورة في كل مكان من شبه القارة الهندية. [8]

وفي سبتمبر قذف الانجليز مدينة دهلي بالمدفعية، واستمر القصف أربعة أيام متتالية. ورغم بسالة الثوار إلا أن الانجليز دخلوا المدينة، واستمرت المعارك داخل المدينة أربعة أيام أخرى، إلى أن سيطر الانجليز عليها. وعندئذٍ كان الانتقام رهيباً، فقتلوا كل من قابلوه من الهنود، وكرروا قسوة الثوار ولكن بطريقة أشد عنفاً. [9]

وبعد فشل الثورة ترك بهادر شاه القلعة الحمراء واختبأ في مقبرة جده التي تقع في ضواحي دهلي. وقد وشى بمكانه أحد أفراد حاشيته فقبض عليه الانجليز وحبسوه، ثم نفوه إلى رانجون عاصمة بورما وظل سجيناً بها حتى توفي عام 1862م، كما قبضوا على ابنيه الذين كانا مختبئين معه. ثم قتل الانجليز الهنود

دون تمييز بين مسلم وهندوسي، ولم يكتف الانجليز بالقتل بل سلبوا ونهبوا كل شيء خلال ثلاثة أيام. [10]

- **عوامل فشل ثورة التحرير :**
- سوء الاستعداد العسكري، فبالرغم من أن الثورة قد حركت الولاء للماضي والحنين إليه، وأثارت حماسة الجماعات في مساحات شاسعة مترامية إلا أن الغزاة في الهند قد واجهوا جيشاً عاجزاً تم تجميعه في عشرة أيام، كما كان الجيش يعاني نقصاً حاداً في الأسلحة والمؤن، وهكذا ساعد الهنود الانجليز على النصر. [11]
- تفشي الانقسام والفرقة بين صفوف الثوار، حيث كانت أهداف الثورة مختلفة بل متضادة بسبب اشتراك عناصر متباينة فيها، والأكثر من ذلك أن اتحاد تلك العناصر كان مستحيلاً. [12]
- تفشي الخيانة وانتشار الجاسوسية في صفوف الثورة، مما كان له أثراً بالغاً في فشلها. فأثناء سيطرة الثوار على دهلي جند الانجليز كثيراً من الجواسيس؛ لتسجيل ما يحدث في المدينة باللغتين الفارسية والانجليزية، وإرسال هذه التقارير خفية إلى الانجليز. [13]
- عدم وجود وعي سياسي لدى الهنود، فالثورة لديهم كانت مجرد انفجار للضغط الواقع عليهم من الانجليز، هذا بالإضافة إلى جهلهم بمفهوم القومية والحقوق الإنسانية أو حتى مفهوم الحرية. [14]

وقد كانت الفترة التي أعقبت فشل ثورة الهند ضد الانجليز سنة 1857م فترة يأس وخوف وانطواء بصفة عامة، وتمثلت فيها القبضة الانجليزية القوية على عنق البلاد – ولاسيما على المسلمين – ولم يكن من الطبيعي، أن تستمر هذه القبضة القوية. [15]

فقد كان الإنجليز في غاية التعصب في سياستهم مع المسلمين، فبعد أن نزعوا منهم السلطة عاملوهم بوحشية، فعلى الرغم من أن المسلمين والهندوس قد شاركا في ثورة التحرير، إلا أن الإنجليز اعتبروا المسلمين هم المتمردين، وحملوهم وحدهم المسئولية كاملة، فصادروا ممتلكاتهم، وأبعدوهم عن الوظائف الحكومية، وصبوا عليهم ألوان شتى من الظلم والاضطهاد. [16]

وكان أهم شيء يقض مضاجع المسلمين بعد انتصار الانجليز، وضمهم الهند لمستعمرات التاج، هو خوفهم على دينهم من المتسلط الجديد، وقد رأوه يركز حربته ضد هذا الدين، حين أكثر من فتح المدارس الحديثة، وساند المبشرين بقوته، في الوقت الذي حارب فيه المدارس الإسلامية، ونزع أوقافها حتى أغلقها. فرأى بعض المفكرين من المسلمين، أن سلطانهم وإن ضاع منهم، حين لم يقدروا على الدفاع عنه بالسلاح، فإنهم يستطيعون أن يبذلوا من نفوسهم ومن أموالهم، ما يحفظون به دينهم، حتى لا تكون نكبتهم في سلطانهم ودينهم معاً. [17]

- سيد أحمد خان وحركة علي كرهــ 1875م :

بعث اضطهاد البريطانيين للمسلمين في الهند، شعوراً قوياً فيهم بضرورة العمل على توحيد صفوفهم من جديد، ورفع معنوياتهم وإصلاح حالهم. وقد نهض السيد أحمد خان* في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي؛ ليفصح عن هذا الشعور إفصاحاً عملياً، فرسم لقومه المنهج الذي يبلغ بهم إلى تحقيق نهضتهم، فنبههم إلى أن نفورهم من الإنجليز لا يعني التزام العزلة، والتخلف عن المشاركة في ركب الحياة، وأن الاطلاع على المدنية الحديثة وعلومها، واقتباس الصالح منها، واجب على المسلمين لا يتعارض أبداً مع التفقه في أمور دينهم، والتمسك بآداب الإسلام وتقاليده. [18]

وحين رأى أنه من العسير إقناع المسلمين بتسليم أبنائهم للمدارس التي تديرها الحكومة، دعا إلى إنشاء مؤسسة علمية إسلامية، يتلقى فيها أبناء المسلمين التعليم الحديث، مع تعاليم دينهم، في جو مأمون موثوق به، حتى يستطيع أبناء المسلمين أن يغترفوا من معين الثقافة الغربية، ويشاركون في نهضة البلاد مع زملائهم الهندوس. وفي هذه الظروف التي تحيط به، أعلن دعوته إلى تأسيس مدرسة حديثة تعلم أبناء المسلمين العلوم المدنية في بلدة علي كرهــ في عام 1875م، واعترفت بها الحكومة عام 1912م. [19]

- تأسيس حزب المؤتمر 1885م :

وجد الانجليز كثيراً من الأنين والشكوى، من حكمهم المستبد الجائر، وكانوا قد هدأت ثائرتهم، بعد مضي مدة على الثورة وأحداثها، فرأوا أن يلهو الشعب بلعبة ينفس بها عن نفسه، تحت إشرافهم، فعملوا على تأسيس جمعية وطنية من أبناء الهند، يحمل أعضاؤها المظالم إلى الحاكم، وينظمونها حين عرضها، حتى يمكن البحث فيها، فكانت هذه الجمعية هي نواة حزب المؤتمر الوطني. [20]

وقد عقد حزب المؤتمر أول اجتماع له عام 1885م، وكان يرأسه ويشارك فيه أعضاء يمثلون الحكومة البريطانية. ولم يكن لذلك المؤتمر أية صفة تنفيذية، وإنما كان يشبه جمعية عادية، تبحث في أمور الهند من خلال مناظرات سياسية واقتصادية واجتماعية، وكانت تلك المناظرات تنتهي بإجراء استفتاء، حول المقترحات التي قدمت من خلالها، وبعد التصويت عليها بالموافقة، كانت ترفع إلى الحكومة الهندية التي كانت تحيلها قبل البت في أمرها إلى المعتمد البريطاني، الذي كان له وحده حق التعديل أو الزيادة أو الحذف ثم المصادقة على ما جاء فيها؛ لتستطيع الحكومة الهندية تعميمها كقرارات وإجراءات معدة للتنفيذ والتطبيق. [21]

- تقسيم البنغال 1905م :

أخذ البريطانيون يعرقلون خطوات ذلك المؤتمر، بإثارة التفرقة بين المواطنين من المسلمين والهندوس من خلال طريقين : الأول كان قراراً أتخذه

اللوردكيرزنسنة 1905م بشأن تقسيم البنغال إلى منطقتين : منطقة إسلامية يكثر فيها المسلمون، ويتيح لهم التقسيم ظهور شخصيتهم في منطقة خاصة بهم، مما أحيى في مسلمي المناطق الإسلامية الأخرى، روح الأمل في إيجاد مناطق خاصة بهم، يغلب فيها طابعهم الرسمي. ومنطقة هندوسية يكثر فيها الهندوس هي البنغال الغربية .[22]

وبذلك التقسيم وقع الخلاف الشديد بين المسلمين والهندوس، وازدادت حدته، وأخذ الانجليز يتفرجون. وقد وقف حزب المؤتمر وقفة عنيدة ضد هذا التقسيم؛ لما رأى فيه من أخطار على مستقبل الهند كما يراه ويرسمه، حتى المسلمون في حزب المؤتمر كانوا يعارضون هذا التقسيم. وقد استمر عرض هذه اللعبة نحو ست سنوات، أنتجت أثرها في كسب عواطف المسلمين وتصفيقهم للحكم البريطاني، واستنفدت بذلك أغراضها فكان إلغائها. [23]

- تأسيس الرابطة الإسلامية 1906م :

في ديسمبر سنة 1906م أسس جماعة من المسلمين رابطة أطلقوا عليها اسم "مسلم ليكـــ" أي (الجماعة أو الرابطة الإسلامية)، وجعلوا أهم أهدافها : حماية حقوق المسلمين، والتقدم بمطالبهم إلى الحكومة. وتقريب وجهة النظر بينهم وبين المستعمر، وإزالة الجفوة التي كانت قائمة من قبل، حتى يستطيع المسلمون الحصول على حقوقهم. على أن ذلك لا يعني التحرش بالطوائف الأخرى، بل يجب أن يظلل الجميع المودة وحسن التفاهم. وبقيام هذه الجماعة، أصبح للمسلمين هيئة خاصة بهم، تتحدث باسمهم، وترعى مصالحهم. [24]

ومنذ ذلك الوقت ظهر في الأجواء السياسية بالهند، هيئة المؤتمر التي تقول أنها تمثل عامة سكان الهند، وبجانبها الرابطة الإسلامية، التي تقول أنها ترعى حقوق المسلمين، وأحزاب أخرى أو جماعات إسلامية وغير إسلامية، لكن الذي بقي قوياً على مر الحوادث، وكان له بصمة في مستقبل الهند هما : هيئتا المؤتمر، والرابطة، حيث كانا يلتقيان حيناً في جهودهما ضد الاستعمار، ويختلفان أحياناً في آرائهما الداخلية. [25]

- قيام الحرب العالمية الأولى 1914م :

في عام 1914م قامت الحرب العالمية الأولى، وكان الأتراك فيها بجانب الألمان ضد الانجليز وحلفائهم، وخشى الانجليز أن يقوم مسلمو الهند بثورة من أجل الأتراك، فوعدوا بأنهم لن يأخذوا شيئاً من ممتلكاتهم. [26]

وفي سنة 1918م بعد أن وضعت الحرب أوزارها، حاولت بريطانيا أن تتدرج في منح الهنود الحكم الذاتي في نطاق الإمبراطورية البريطانية، لكن هذا خيب آمال كثير من الهنود، ودعاهم فيما بعد إلى الثورة والانتفاض. وفي الوقت ذاته أحدث تمزيق الدولة العثمانية، وانهيار الخلافة الإسلامية، ثورة هوجاء في

نفوس المسلمين الهنود، واجتاحتهم موجة كراهية شديدة للإنجليز. فمع أن الإنجليز كانوا قد وعدوا المسلمين أثناء الحرب أنهم لن يتعرضوا للخلافة التركية بعد انتهاء الحرب، إلا أنهم صبوا عليها مظالم عديدة، فسجنوا الخليفة وقسموا السلطنة العثمانية إلى اتحادات. وقد وحدت خيبة الآمال المعقودة على الإنجليز بين الهندوس والمسلمين، فنقموا جميعاً على الاستعمار، واجتمعوا على رأي واحد.[27]

- حركة الخلافة 1919م وحركة عدم التعاون 1920م :

خرج الشباب لمحاربة الانجليز، غير أنهم كانوا في احتياج إلى قائد ينظم صفوفهم، فرأوا في غاندي* بغيتهم المنشودة، فقد رجع من جنوب أفريقيا، وقاد الشعب في ثورته ضد قانون العقوبات، ورأوه متسامحاً غير متعصب واسع القلب. وكان زعيم المسلمين في ذلك الوقت محمد علي جوهر* قد رأى أنه لابد من النجاح لحركة الخلافة، ولو تحت زعامة غاندي، وقبل غاندي قيادة هذه الحركة، وكان هو نفسه ينتظر هذه الفرصة. فاتحد المسلمون والهندوس ليحاربوا الانجليز، وأعلن المسلمون أنهم يريدون حرباً مقدسة، وأنهم يريدون مساعدة الأتراك.[28]

وفي عام 1928م عقد المؤتمر الإسلامي في دهلي، والذي دعا من خلاله الزعيم الوطني محمد علي جناح* إلى استقلال إقليم السند عن بومباي، ومراعاة الأقاليم التي بها أكثرية هندوسية مع حماية حقوق الأقلية المسلمة والعكس، كما دعا إلى أن يكون للمسلمين ممثلين عنهم في انتخابات المجالس التشريعية في البنجاب والبنغال، وغيرها من الاقتراحات والتي قابلها زعماء حزب المؤتمر المتعصبين بالرفض التام، مما أثار مخاوف المسلمين، فانسحب من المؤتمر كثير من زعمائه البارزين، وانضموا إلى حزب الرابطة الإسلامية.[29]

- دستور 1935م :

وفي سنة 1935م وضع الانجليز قانوناً لنظام الحكم في الهند، تكون البلاد بموجبه دولة اتحادية، ولكن الهندوس رفضوا ذلك القانون لأنهم كانوا يريدون للهند حكومة موحدة مع ضمان حقوق الأقليات. لكن الأقلية المسلمة كان لها ظروف تختلف عن الأقليات الهندية الأخرى، فقد حكم المسلمون الهند مدة تبلغ خمسمائة عام، وكانت لهم تقاليدهم وثقافتهم، التي تختلف كل الاختلاف عن تقاليد الهندوس وثقافتهم. وكان للمسلمين وحدة قومية لها جميع مقومات الأمة، ويبلغ عدد المسلمين في الهند نحو مائة مليون أي نحو ثلث عدد الهندوس، وكان لهم أغلبية في عدد كبير من الولايات الهندية.[30]

- الحرب العالمية الثانية 1939م :

بينما كان المسلمون والهندوس غارقين في خلافاتهم، قامت الحرب العالمية الثانية في عام 1939م، وأعلن نائب الملك في الهند دخولها مع بريطانيا في هذه

الحرب، دون استشارة أحد من زعمائها، فاعتبر رجال المؤتمر في الوزارات وفي الحزب هذا القرار ماساً بكرامتهم، واحتجوا على جر الهند للحرب وراء بريطانيا دون أي ضمان على اشتراكها في الحرب، فاستقال وزراء المؤتمر من الحكومات التي اشتركوا فيها، ولم يأبه نائب الملك لهذه الحركة واستمر في خطته لدفع الهند للحرب.[31]

وأثناء الحرب دعت الرابطة الإسلامية إلى اجتماع تاريخي عقد في لاهور سنة 1940م، شهده جميع مسلمي الهند المنضمين إلى الرابطة، وفي هذا الاجتماع راجعت الرابطة برنامجها وحددت أهدافها ومطالبها، واتخذت قراراً خطيراً حيث نادت بفكرة الشاعر والفيلسوف الإسلامي الكبير محمد إقبال* التي أعلنها سنة 1930م؛ وهي إنشاء دولة إسلامية مستقلة للمسلمين في الهند، بحيث يكون لها دستورها الخاص وسيادتها الكاملة. وعلى إثر ذلك ثار زعماء الهندوس وأخذوا يقيمون العقبات ويضعون العراقيل في طريق استقلال مسلمي الهند.[32]

- مؤتمر شملا 1945م :

وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، عقد مؤتمر شمله عام 1945م كمحاولة للتوصل إلى دستور سياسي للهند، توافق عليه جميع الأحزاب السياسية، إلا أن هذا المؤتمر قد باء بالفشل نظراً للاختلافات الجوهرية بين كل من الرابطة والحزب. وعندما فازت الرابطة الإسلامية في الانتخابات التي أجريت بجميع المقاعد، أعتبر يوم الحادي عشر من يناير 1946م (يوم الفتح)، واحتفل جميع المسلمين بهذا الانتصار للرابطة الإسلامية، على أن هناك جماعة واحدة تمثل مسلمي الهند كلهم هي الرابطة الإسلامية. وقد أثار هذا الانتصار غضب قادة حزب المؤتمر والهندوس جميعاً.[33]

هنالك اشتد الصراع السياسي بين الرابطة الإسلامية وحزب المؤتمر، حين أعلن محمد على جناح أن حزب الرابطة الإسلامية يرفض أي اتحاد مع الهندوس، ويصر على وحدة إسلامية مستقلة ودعا المسلمين إلى الاحتجاج على تولي الهندوس السلطة، مما أدى إلى وقوع صراعات طائفية عنيفة بين المسلمين والهندوس.[34]

وقد حاول الزعماء وعلى رأسهم غاندي و محمد علي جناح تهدئة الأمور ولكن دون جدوى، بل شهدت مناطق كثيرة تلك الاشتباكات الطائفية، وتفاقمت الأمور وتجددت المذابح وارتفع عدد الضحايا، ولم يعد هناك سبيل آخر للخروج من شبح هذه الحرب الأهلية إلا الرضوخ لفكرة التقسيم.[35]

- تقسيم شبه القارة الهندية 1947م :

وفي شهر أغسطس من عام 1947م، أصدر البرلمان البريطاني قانون استقلال الهند، وقبلت به أطراف النزاع (الحكومة البريطانية، حزب المؤتمر

الهندي، وحزب الرابطة الإسلامية)، وكان قرار الاستقلال ينص على قيام دولتين مستقلتين هما الهند وباكستان.[36] وقد ظل اللورد ماونتباتن الحاكم العام الأول للهند، بينما انتخب محمد علي جناح ليكون أول حاكم عام لباكستان.[37]

وقد شكلت لجان لتقسيم الحدود بين الدولتين على أساس الأغلبية الدينية، حيث تنضم الولايات ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان، والولايات ذات الأغلبية الهندوسية إلى الهند. وقد انتهت هذه اللجان من أحكامها وارتضاها الفريقان، فيما عدا ولايات جوناكده وحيدر أباد وكشمير فقد نشب عليها خلاف حاد بينهما.[38]

فولاية جوناكده أغلبية السكان فيها من الهندوس، لكن حاكمها المسلم قبل الانضمام إلى باكستان في سبتمبر سنة 1947م، مما أثار عليه جماعة من رعاياه، فأعلنوا عليه الانتفاضة واستنجدوا بالجيش الهندي، وطلبوا إليه دخول الولاية وقد عقدت الهند استفتاء لشعب هذه الولاية، فإذا 90% يصوتون في صالح الانضمام إلى الهند، وكان من أثر ذلك أن احتجت باكستان على هذا العمل لدى مجلس الأمن.[39]

وكذلك ولاية حيدر آباد كان غالبية سكانها من الهندوس، وقد حاول حاكمها المسلم الإبقاء على استقلالها، ولكنه لم يفلح إلا في تأجيل انضمامه إلى الهند عاماً آخر، وقبل نهايته احتلت القوات الهندية الولاية، بعد أن هزمت جيشها وأعلنت ضمها إلى الهند.[40]

وطبقاً لخطة التقسيم فإن المناطق التي يشكل فيها المسلمون الأغلبية تذهب لباكستان، لذلك كان يتعين على ولاية كشمير الانضمام إلى باكستان. وخصوصاً أن شعب كشمير يرغب في الانضمام إلى باكستان، لكن حاكم كشمير الهندوسي هري سنغ عمل على منع حدوث ذلك، فأسس عصابات من الهندوس الكشميريين، والهندوس الذين أتوا من الهند لمنع انضمام كشمير إلى باكستان، وأخذت هذه العصابات في الهجوم على المسلمين وقتلت منهم 137 ألفاً.

عند ذلك اضطرت باكستان إلى إرسال قواتها للدفاع عن الأغلبية المسلمة في كشمير، واستمر القتال بين الهند وباكستان من سنة 1948م إلى سنة 1949م. وبعد ذلك صدر قرار من لجنة الأمن بهيئة الأمم المتحدة قوة دولية؛ لحفظ الأمن ومنع العودة إلى الحرب. ومنذ ذلك الوقت بقيت مشكلة كشمير عقبة في سبيل تحسن العلاقات بين الدولتين. ولم تفلح المؤتمرات العديدة التي عقدة بين الهند وباكستان في الوصول إلى مخرج من هذا المأزق، الذي يزداد كل يوم خطراً.[41]

الخاتمـــــــــــة

رأينا في هذا العرض التاريخي أن كفاح أهل شبه القارة الهندية ونضالهم من أجل الاستقلال قد استمر لقرابة قرنٍ من الزمان، ذاقوا فيه مرارة الذل والاستعباد، ورأوا فيه من الأهوال ما يفوق طاقة البشر، إلا أنهم استطاعوا أن يصمدوا ويطوروا من أنفسهم، حتى تمكنوا من طرد المحتل الإنجليزي من البلاد. صحيح أنهم دفعوا ثمن ذلك غالياً من دمائهم وأموالهم، إلا أنهم نالوا حريتهم في نهاية الأمر.

وبالرغم من رحيل المحتل من البلاد بعد أن نجح في بث سموم الفرقة والعصبية بين أبناءها، إلا أن بقاء شبه القارة الهندية دولة موحدة كان أمراً مستحيلاً، فلقد عانى المسلمون ألواناً شتى من العذاب والاضطهاد على أيدي الإنجليز والهندوس المتعصبين، وقد بدا هذا واضحاً خاصة بعد قرار التقسيم، والمذابح التي حدثت للمهاجرين المسلمين وقتها، صحيح أن هذا التعصب كان موجوداً في الطرفين المسلم والهندوسي على حد سواء، إلا أن المسلمين تعرضوا لظلم أكبر، خاصة فيما يتعلق بتقسيم بعد المناطق، ومشكلة كشمير التي ما تزال قائمة إلى يومنا هذا .

ولعلي بهذا البحث الموجز أكون قد ألقيت الضوء على فترة مهمة في تاريخ شبه القارة الهندية، منذ دخول الإنجليز إليها، وحتى تقسيمها إلى دولتين منفصلتين .

الهوامـــــش

[1] - أحمد محمود الساداتي (دكتور) – تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (الجزء الثاني – الدولة المغولية) – مكتبة الآداب – القاهرة – 1980م – ص 223 .
[2] - حسن محمد جوهر، محمد مرسي أبو الليل – باكستان – دار المعارف – القاهرة – 1965م – ص 40، 41 .
[3] - عبد المنعم النمر (دكتور) – كفاح المسلمين في تحرير الهند – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الثانية – 1990م – ص 15، 16 .
[4] - أحمد محمود الساداتي – تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية – مرجع سابق صـ 234، 235 .
[5] - أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – ترجمة : محمد السيد عبدالخالق (دكتور) وآخرون – مراجعة وتقديم : أحمد محمد عبد الرحمن (دكتور) – جامعة الأزهر – كلية اللغات والترجمة – القاهرة – 2008 م – صـ 66، 67 .
[6] - المرجع السابق - صـ 67 .
[7] - المرجع السابق – صـ 68 .
[8] - غلام رسول مهر – 1857 کے مجاهد – شيخ غلام على اينڈ سنز – لاهور – الطبعة الثالثة 1971م – ص 78 .
[9] - عشرت رحمانى – همارى آزادى كى كهانى (سر سيد سے قائد اعظم تک) – مكتبه معين الادب – لاهور – 1974م – ص 7 .
[10] - فوزية عبد العزيز – ثورة التحرير الهندية – مرجع سابق صـ 583.
[11] - علي أدهم – الهند والغرب – دار المعارف – القاهرة – 1955م – ص 80 .
[12] - بارى – كمبنى كى حكومت – مرجع سابق صـ 408 .
[13] - فوزية عبد العزيز – ثورة التحرير الهندية – مرجع سابق صـ 585 .
[14] - المرجع السابق – صـ 586 .
[15] - عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين في تحرير الهند – مرجع سابق صـ 45 .
[16] - أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – مرجع سابق صـ 73 بتصرف .
[17] - المرجع السابق – صـ 30 .
[*] - سر سيد أحمد خان : ولد في دهلي عام 1817م لأسرة متدينة ثرية، ثم انتقل إلى هرات حيث نال قدراً من الثقافة العامة، ثم اجتاز امتحان القضاء وعمل في هيئة القضاء بشركة الهند الشرقية في دهلي. وبعد فشل ثورة 1857م دعا إلى قيام حركة قومية تهدف إلى إصلاح حال المسلمين بخلق مناخ من التعاون بين المسلمين والانجليز، وبسبب هذه الدعوة اتهم بالخيانة، وصدرت فتوى بتكفيره، لكنه تحمل النقد، واستمر في حركته التي أسفرت عن العديد من الإصلاحات السياسية والاجتماعية والفكرية. وقد توفي في عام 1898م بعد تدهور حالته الصحية ودفن بمدينة على كرهـ. للمزيد انظر : أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – صـ 75 وما بعدها، أحمد الساداتي – تاريخ المسلمين ج2 – صـ 300، 301.
[18] - أحمد الساداتي – تاريخ المسلمين ج2 – مرجع سابق صـ 298، 299 .
[19] - عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين – مرجع سابق صـ 36 : 38 بتصرف .
[20] - محمد حبيب – بين الهند وباكستان – مرجع سابق ص 221 .
[21] - إبراهيم حلمي الغوري – الهنددرة آسيا وجوهرتها– دار الشرق العربي – بيروت – د.ت - ص 240.
[22] - عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين – مرجع سابق ص 56 .

[23] - عباس محمود العقاد – محمد علي جناح – دار الهلال – القاهرة – د.ت - ص 102 .
[24] - عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين – صـ 69، أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – صـ 85 – مرجعين سابقين .
[25] - عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين – مرجع سابق صـ 71 .
[26] - محمد حسن الأعظمي – حقائق عن باكستان – مرجع سابق ص 79 .
[27] - المرجع السابق – صـ 37، 38، أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – مرجع سابق صـ 88 .
[*] - غاندي : ولد في بور بندر في إقليم كجرات في 2 أكتوبر 1869م، وكان ابناً لإحدى الأسر الثرية والمتدينة، تزوج في سن مبكرة وأنجب أربعة أولاد، أتم دراسته الجامعية في بريطانيا وحصل على شهادة الحقوق، ثم سافر إلى جنوب أفريقيا في عام 1889م ليعمل محامياً، وسرعان ما بدأ الكفاح ضد حكومة البيض نيابة عن الآسيويين والأفارقة الذين كانوا قد يتلقون منها معاملة سيئة. ثم عاد إلى الهند عام 1915م واختير لرئاسة حزب المؤتمر، وبدأ في كفاحه ضد الاحتلال البريطاني وظل على نضاله حتى قتل في عام 1948م على يد أحد الهندوس المتعصبين. للمزيد انظر : محمد الأعظمي – حقائق عن باكستان – مرجع سابق ص 79 .
[*] - محمد علي جوهر : ولد في إقليم رامبور لأسرة غنية عام 1878 م، وحصل على تعليمه الابتدائي في علي كرهـ، وأتم تعليمه العالي في اكسفورد، وبعد عودته من اكسفورد عام 1910 م اتجه إلى الصحافة، وفي عام 1911 م أصدر صحيفة إنجليزية بعنوان (كامريد)، وفي عام 1913 م أصدر صحيفة (همدرد) بالأردية، وقد تم اعتقاله في إبان الحرب العالمية الأولى بسبب آرائه السياسية، وحين أطلق سراحه في عام 1919 م اهتم بتنظيم حركة الخلافة، وفي عام 1930 م سافر إلى لندن للمشاركة بمؤتمر المائدة المستديرة، وهناك أصابه مرض شديد، أدى إلى وفاته بعدها بأسابيع قليلة. للمزيد انظر : أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – مرجع سابق صـ 89، 90 .
[28] - محمد حسن الأعظمي – حقائق عن باكستان – مرجع سابق ص 79، 80 .
* - محمد على جناح : هو القائد الأعظم ولد في كراتشي 25 ديسمبر 1876م، وقد أتم تعليمه الأساسي في كراتشي، ثم تعليمه العالي في بومبي، وفي عام 1892م سافر إلى إنجلترا، وحصل على أعلى الشهادات في القانون في خلال أربع سنوات، ثم عاد إلى الهند وعمل بالمحاماة، واتجه لرعاية حقوق المسلمين عام 1928م حين يئس من تعنت قادة حزب المؤتمر، وتقريباً بعد ثماني سنوات أعاد تنظيم الرابطة الإسلامية بصفته رئيساً لها التي وافقت على قرار قيام بباكستان عام 1940م. وكان له دور بارز في نجاح الرابطة في الانتخابات التي أجريت عام 1946م، إلى أن ظهرت باكستان عام 1947م، وكان أول رئيس لهذه الدولة حتى توفي 11 سبتمبر 1948م. للمزيد انظر : أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – صـ 96، محمد الأعظمي – حقائق عن باكستان – صـ 90 وما بعدها – مرجعين سابقين. [*]
[29] - شميم جالندهرى – سقوط آزادى سے حصول آزادى تک – مرجع سابق ص 47 .
[30] - حسن جوهر، محمد أبو الليل – باكستان – مرجع سابق ص 60 .
[31] - عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين – مرجع سابق ص 187 .
[*] - محمد إقبال : ولد إقبال في سيالكوت بمقاطعة البنجاب سنة 1877 م، وقد أتم تعليمه الابتدائي في سيالكوت، وبعد اجتياز امتحان الثانوية دخل الكلية الحكومية في لاهور، حيث حصل منها على درجة الماجستير، ثم عين مدرساً مساعداً في نفس الكلية. وقد سافر إقبال في سنة 1905م إلى أوروبا، ودرس في جامعة اكسفورد وحصل منها على شهادة المحاماة، ثم درس الفلسفة في جامعة ميونخ، ونال منها درجة الدكتوراة. ثم رجع إلى الهند في سنة 1908م واشتغل بالتدريس ثم عمل في المحاماة، وكان عوناً للمسلمين في كل أمورهم. ذاع صيته ونال شهرة فائقة في الأدب، وله عدة

دواوين فارسية وأردية. للمزيد انظر : عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين – صـ 173 وما بعدها، أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – صـ 92 – مرجعين سابقين .

[32] - حسن جوهر، محمد أبو الليل – باكستان – مرجع سابق ص 61 بتصرف .

[33] - محمد رضا خان – تاريخ مسلمانان عالم قديم وجديد– اردو بازار – لاهور – 1985م – ص 1019، 1020 .

[34] - عبد المنعم النمر – كفاح المسلمين – مرجع سابق ص 209 .

[35] - روشن دالال – تاريخ الهند – مرجع سابق ص 241 .

[36] - سعيد محمود البتاكوشي – كشمير محاولة للفهم – دار طويق للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الأولى 1997م – ص 10.

[37] - أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – مرجع سابق صـ 103 .

[38] - عبد الحميد البطريق، محمد عطا – باكستان في ماضيها وحاضرها – مرجع سابق ص 69 بتصرف.

[39] - المرجع السابق – ص 69 .

[40] - عبد الحميد البطريق، محمد عطا – باكستان في ماضيها وحاضرها – مرجع سابق ص 70 .

[41] - حسن جوهر، محمد أبو الليل – باكستان – مرجع سابق ص 89 .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية :

1- إبراهيم حلمي الغوري – الهند درة آسيا وجوهرتها – دار الشرق العربي – بيروت – د.ت .

2- أحمد محمود الساداتي (دكتور) – تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (الجزء الثاني – الدولة المغولية) – مكتبة الآداب – القاهرة – 1980م.

3- أنوار هاشمي – تاريخ باكستان والهند – ترجمة : محمد السيد عبدالخالق (دكتور) وآخرين – مراجعة وتقديم : أحمد محمد عبد الرحمن (دكتور) – جامعة الأزهر – كلية اللغات والترجمة – القاهرة – 2008 م .

4- حسن محمد جوهر، محمد مرسي أبو الليل – باكستان – دار المعارف – القاهرة – 1965م .

5- سعيد محمود البتاكوشي – كشمير محاولة للفهم – دار طويق للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الأولى 1997م .

6- عباس محمود العقاد – محمد علي جناح – دار الهلال – القاهرة – د.ت .

7- عبد الحميد البطريق (دكتور)، محمد مصطفى عطا – باكستان في ماضيها وحاضرها – دار المعارف – القاهرة – 1955م .

8- عبد المنعم النمر (دكتور) – كفاح المسلمين في تحرير الهند – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الثانية – 1990م.

9- علي أدهم – الهند والغرب – دار المعارف – القاهرة – 1955م .

10- فريق البحوث والدراسات الإسلامية – الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي – مكتبة علاء الدين الإسكندرية – 1998م .

11- محمد حسن الأعظمي – حقائق عن باكستان – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – د.ت .

المصادر والمراجع الأردية :

12- باری – کمبنی کی حکومت – نیا اداره – لاهور – الطبعة الرابعة – 1996م .

13- سیفی پریمی (دکتور) – اسماعیل میرٹھی حیات اور خدمات – مکتبه جامعه نئی دهلی – نیودلهي – 1971م .

14- شمیم جالندهری – سقوط آزادی سے حصول آزادی تک – اداره مصنفات – لاهور – الطبعة الأولى – 1948م .

15- عشرت رحمانی – همارى آزادى کی کهانی (سر سید سے قائد اعظم تک) – مکتبه معین الادب – لاهور – 1974م

16- غلام رسول مهر – 1857 کے مجاهد – شیخ غلام علی اینڈ سنز – لاهور – الطبعة الثالثة 1971م .

17- قاضی مجیب الرحمن – مطالعه پاکستان – تاج کتب خانه – بیشاور – 1948م .

18- محمد رضا خان – تاریخ مسلمانان عالم قدیم وجدید – اردو بازار – لاهور – 1985م

19- مولوي عبد الحق (دكتور) – مرحوم دهلى كالج – انجمن ترقى اردو – كراتشى – الطبعة الثالثة – 1962م .

الدوريات العربية :

20- فوزية عبد العزيز (دكتورة) – ثورة التحرير الهندية في ضوء المصادر الأردية – مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة – العدد (31) – أغسطس 2002م .